البدو والبادية في فكر البلدانيين ـ دراسة في أحوالهم العامة ـ

أ. م. د. علي إبراهيم عبيد (البصير)
الجامعة المستنصرية – كلية الآداب

الملخص

انمازت كتابات غالب البلدانيين بدقتها وواقعيتها، لمشاهداتهم ومعايشتهم بما نقلوه من الاخبار، فكان وصفهم لحياة البادية واهلها اكثر دقة وتقريبًا لحقيقة تلك الحياة، لذا ارتأينا الكتابة عن الاحوال العامة للبدو من خلالهم، والاطلاع على اعرافهم وعاداتهم وتقاليدهم وسبل عيشهم في بيئة عرفت بقسوة ظروفها وقلة مواردها، وما هي اهم اساليبهم للتكيف مع تلك الظروف .

وقد دعا هذا الى تقسيم المادة الى ثلاثة محاور تضمن المحور الاول التعريف بالبدو ووصف بيئتهم وبيان اليسير من صفاتهم واطباعهم، واما المحور الثاني فتعرضنا فيه الى احوالهم الاجتماعية من اعراف وتقاليد وأفراح وأحزان ومعتقدات، فضلًا عن معالجاتهم لبعض المشاكل بالقضاء عندهم او بعض الامراض بالتداوي بالأعشاب المتوافرة عندهم، اما المحور الثالث فسلطنا الضوء فيه على مواردهم الاقتصادية بدءًا من تربيتهم للحيوانات والتجارة والصناعة وكان اغلبهم لا يحبذ امتهانها ويفضلون حتى الغزو والنهب عليها ؛ لاعتقادهم بمشروعية ذلك وانها احدى قوانين الشجاعة والرجولة عندهم.

الكلمات المفتاحية: البدو، البلدانيين، احوالهم العامة.

Al Malweah for Archaeological and Historical Studies, Vol 11, Issue 36, May 2024
P-ISSN: 2413-1326 \ E-ISSN: 2708-602X

The Bedouins and the Badi in the thought of Geographers, a study of their General Affairs

Asst. Prof. Dr. Ali Ibrahim Obaid (Albaser)

Mustansiriya University- College of Arts
ali76@uomustansiriyah.edu.iq

Abstract

This research studied the general conditions of the Bedouins, including customs, traditions, joys, sorrows, and living life, and all of this through the thought of the Bedouins because they lived and coexisted with those conditions, so their description of that life was true and their writings were more realistic.

The research included three axes. The first axis was entitled (Introducing the Bedouins, their morals and characteristics), in which we explained the meaning of Bedouins linguistically and idiomatically, and a summary of the description of the desert and some of the morals of the Bedouins such as generosity, courage, and vision. As for the second axis, it was titled (The social conditions of the Bedouins), in which we reviewed some of those conditions instead of Their gatherings, their clothes and their nature, passing through their occasions of joy and sorrow, ending with their religion, their sects and other social conditions. As for the last topic, it was entitled (the economic conditions of the Bedouins), in which we talked about their economic resources, starting with their raising of animals, through their trade and industry, and ending with invasion, plunder and plunder.

Keywords: Bedouins, Bedouins, Their General Affairs.

المقدمة:

الحَمدَ لله ربَ العالمين، وأفضلَ الصلاةِ وأتم التسليمِ على الرسولِ الأمين محمد وآل بيته الطيبين الطاهرين وأصحابه الأبرار المنتجبين.

مَثَّلَ البدو شريحةً مهمةً من شرائحِ المجتمع التي جذبت انظار الباحثين؛ وذلك لاختلاف الصفات والطباع والمستوى الثقافي، قياسًا بالحضر على اختلاف الامكنة و الازمنة، مما دعا الباحثين ولاسيما البلدانيون منهم لدراسة تقاليد وعادات هذه الفئة من المجتمع وعموم اوضاعهم واحوالهم، وما تركيزنا على جملة تلك الاحوال بوساطة البلدانيين، الا لتماسهم المباشر مع البدو ومشاهداتهم الحية والواقعية لتفاصيل حياتهم التي دونوها في كتاباتهم.

وتكمن اهمية دراسة الاحوال العامة للبدو في التعرف على أثر و روعة التمسك بالقيم والاعراف الاصيلة التي جسدت حقيقة التراث الماضي، وبساطة حياة الانسان ومعاناته في الازمنة الغابرة، فضلًا عن اسهامها في التعريف بحجم الفرق بين احوال الانسان في الماضي والحاضر، وبين خشونة الحياة البدوية وقسوتها اذا ما قورنت بالحياة الحضرية.

وقد دعت طبيعة الموضوع الى تقسيمه إلى ثلاثة محاور: الاول بعنوان **(التعريف بالبدو واخلاقهم وصفاتهم)** بيّنا فيه معنى البدو لغة واصطلاحًا، وموجزًا لوصف البادية وبعض اخلاق البدو مثل: الكرم والشجاعة والمروءة وغيرها، **اما المحور الثاني فجاء بعنوان (احوال البدو الاجتماعية)** استعرضنا فيه شيئًا من تلك الاحوال بدءًا من مجالسهم وملابسهم وطبيعتها، ومرورًا بمناسباتهم من افراح واحزان، وانتهاءً بالقضاء عندهم وديانتهم ومذاهبهم وغيرها من احوالهم الاجتماعية، اما المحور الاخير فانطوى تحت عنوان **(احوال البدو الاقتصادية)** تحدثنا فيه عن مواردهم الاقتصادية بدءًا من تربيتهم للحيوانات، ومرورًا بالتجارة والصناعة عندهم، وانتهاءً بالغزو والسلب والنهب.

وقد تفاوتت عدد صفحات هذه المحاور تبعًا لطبيعة المادة المتعلقة بها، وتوافرها في المصادر البلدانية، وبعض المصادر المختصة بالبدو وشؤونهم؛ لأنَّ دراستنا لأحوال البدو العامة مقتصرة على هذه المصادر حصرًا .

المحور الاول: التعريف بالبدو وأخلاقهم وصفاتهم

قبل الشروع في التعرف على البدو وأصلهم وأخلاقهم وصفاتهم، لابدّ من بيان المعنى اللغوي والاصطلاحي لكلمة بدو وسبب التسمية.

١ـ فالبدو لغة: من الفعل بدا ومعناه ظهر، والبداوة هو اول ما يبدأ منه، واسم لمكان البدو وللمتصفين بالبداوة، وتطلق على كل انسان ليس له مسكن ثابت او كثير الترحال(١).

٢ـ اما اصطلاحًا: فتُطلق على السكان الذين يعيشون في الصحراء، ويسكنون الخيام وبيت الشعر، ويعيشون على رعي الابل والماشية، وينتقلون من مكان لآخر طلبًا للماء والكلأ(٢)، وسمو بدوا؛ لاستيطانهم البادية أي: الارض البارزة الظاهرة المفتوحة(٣).

وعليه فالبداوة تعني نزول الصحراء وعدم الاستقرار في مكان واحد، بل التنقل من مكان لآخر وراء الماء والكلأ، والاعتماد في المعيشة على الرعي وتربية الحيوانات .

وهذا هو حال الانسان في المراحل الاولى من وجوده على هذه المعمورة، وبمرور الزمن وتطور الانسان بحكم التجربة والخبرة، اهتدى الى الاستقرار والاعتماد على مصادر ثابتة للرزق، دفعته الى التحضر والعمران الذي مال اليه قسم من الناس، في حين لم يرغب القسم الآخر بالعيش في مستوطنات ثابتة ومستقرة، وفضل حياة التنقل؛ لأنه رأى في ذلك حريته وراحته، وهذه هي الاصول الاولى للبدو والبداوة .

٣ـ وصف البادية

يُطلق مصطلح البادية على المناطق الصحراوية القاحلة أو شبه الصحراوية، وتتماز بمساحاتها الشاسعة جدًا في اماكن مختلفة من العالم، وقد تنوعت تضاريس هذه المناطق بين الهضاب والجبال والوديان (٤)، وعلى الرغم من انحسار هذه المساحات بفعل التطور الحضاري، إلا أنّها ما زالت تشكل مساحات واسعة قياسًا بالمستعمرة.

واتصفت هذه الاراضي بالجفاف الذي تراوح بين التام في الاراضي القاحلة، وأقل من ذلك في الاراضي التي فيها عيون وينابيع، واتصفت بيئتها القاسية بشدّة حرارتها احيانًا وقساوة برودتها احيانًا اخرى، واقتصارها على بعض النباتات العشبية او الشجيرية التي تكيفت مع تلك الاجواء والتي اسهمت بشكل مباشر في استيطان البدو في تلك الاماكن (٥).

وبمقدار تكيّف هذه النباتات مع بيئة البادية، تكيّفت جملة من الحيوانات للعيش فيها، والتي شكلت مصدر غذاء الانسان ومعيشته هناك (٦).

أما كميات الامطار الساقطة في البوادي فهي في أفضل حالاتها اقل من غيرها من المناطق [٧]، والهواء فيها جاف في النهار يصل مستوى رطوبته الى ٧٪ ويرتفع اكثر من ذلك ليلًا، فيتحول البخار الى ندى يرطب الارض والعشب في الساعات الاولى لكل يوم [٨].

وعلى الرغم من طبيعة البادية القاسية وشقاء العيش فيها، فإنَّ مناخها بوجه عام أكثر نقاءً وصحةً من غيره [٩]، لذا كان العرب يقصدون البادية ايام مرضهم او يرسلون أبناءهم لينشؤوا اصحاء واقوياء البنية.

٤ـ أخلاقهم وأطباعهم وصفاتهم

تفاوت البدو في اشتهارهم ببعض الاخلاق والاعراف والاطباع التي سادت اوساطهم، بتفاوت المكان او الزمان او البيئة والظروف الاجتماعية التي حكمت حياتهم وأحوالهم، فما تميز به بعضهم، افتقر له غيرهم، وما ساد في حقبة معينة ساد غيره في اخرى، إذ لم يكتب لأحدها او بعضها السيادة الزمانية والمكانية المطلقة، ومن بين تلك الاخلاق والاعراف والاطباع ما يأتي:

أـ الكرم

يُعد الكرم احد اهم الصفات التي حرص أغلب البدو على حيازتها والاتصاف بها؛ لأنّه احد اهم اركان العادات والتقاليد المتوارثة عندهم، وأحد اوجه التفاخر والتفاضل بينهم، فبناء المجد والسمعة للإنسان الكريم وحتى قبيلته ولأجيال متعاقبة يكون بالكرم بعموم اوجهه، ومن بين تلك الاوجه المبالغة في الضيافة وتكريم الضيوف الوافدين عليهم حتى مع عدم معرفتهم بأحسابهم ومكانتهم الاجتماعية في اغلب الاحيان، وهذا ما ميّز العرب عمومًا والبدو خصوصًا عن غيرهم من الشعوب والامم.

ومن بين مظاهر مبالغتهم في الضيافة وحبّ الضيف، هو ايقاد النيران على المرتفعات ليلًا؛ لتمكين الغرباء من الاهتداء اليهم، قال الشاعر موسى بن يسار المدني[١٠]:

له نار تشبّ على يفاع إذا النيران ألبست قناعا
ولم يك اكثر الفتيان مالًا ولكن كان أرحبهم ذراعا[١١]

ومنهم من كان يستعمل المندلي الرطب، وهي اعواد من العطر ليهتدي لها حتى العميان[١٢]، وفضلًا عن ذلك كانوا يجتذبون الغرباء الى مواضعهم بنباح الكلاب، إذ تُنبههم بذلك النباح على وجود ما يجب رصده، فإذا كان سارقًا او معتديًا تصدوا له، وإذا كان ضيفًا او عابر سبيل اكرموه [١٣].

إنَّ حبّ الكرم والاتصاف به لا يقتصر على الميسورين من البدو او يتحدد بوقت الرخاء فحسب، بل هي صفة عامة يتصف بها معظمهم فقيرهم وغنيهم، إذ كانوا يشدّون أزر

بعضهم ويتعاونون فيساعد الميسور أخاه المعسر إذا حلّ عنده ضيف بالأخص في ايام القحط والجدب[١٤]، ولا يقبلون ابدًا ايّ نوع من التقصير في حق الضيف؛ لأن في ذلك اساءة لسمعة القبيلة قبل سمعة الشخص المُضيّف.

ب ـ حماية الضعيف والدخيل

أخذت الإغاثة والإجارة مساحة واسعة في نفوس البدو، فهي احدى أهم أعرافهم وأخلاقهم التي يتفاخرون بها، إذ كانوا يؤمنون كل لائذ ومستجير بهم، حتى اذا كانت هذه الاجارة تجرّ عليهم الويلات والحروب، بل كانوا يتباهون بكثرة مَنْ يلوذ بهم ويطلب حمايتهم، فقد ذكر بعض البلدانيين انهم لا يفرقون بين البريء والآثم فلكليهما حقّ الدخالة في حياة المجير وحتى بعد وفاته، ولاسيما المشهورين منهم والمعروفين بالنجدة والإغاثة، اذ يضمن للدخيل أنَّ اهله وعشيرته سيلتزمون بعهد الحماية له [١٥]، وأحد امثلة هذه الحماية والاجارة النادرة هو ما طلبه الاعشى [١٦] من علقمة بن علاثة [١٧] أنْ يجيره من الجن والانس وحتى من الموت، فاعتذر علقمة، فقصد الاعشى عامر بن الطفيل [١٨] وسأله الحماية الكاملة فوعده أنْ يحميه حتى من الموت، فقال الاعشى: وكيف ذلك، قال عامر : " إذا اتاك الموت وأنت في حماي، دفعت لأهلك ديتك " فأعجب الاعشى من هذا الجواب وأنشد شعرًا يمدح به عامر ويهجو علقمة [١٩].

ولم يقتصر البدو في إجارتهم لدخلائهم على مواجهة قبيلة أو حتى مجموعة قبائل فحسب، وانما تعهدوا بمواجهة دولة منظمة اذا ارادت المساس بدخيل لهم، وقد حدث مثل هذا عندما قام احد ابناء قبيلة العمور ويدعى شلاش[٢٠] بقتل ضابط عثماني في بلاد الشام بعد محاولته الاعتداء على شرف امرأة استنجدت بشلاش فقتل ذلك الضابط ولجأ الى الشيخ محمد بن دوخي [٢١]، وعندما علم الوالي العثماني في بلاد الشام بمكانه أرسل في طلب شلاش، غير أنَّ الشيخ ابن سمير حشّد ابناء قبيلته وأخبر القوة المطالبة بتسليم الدخيل أنَّ هذا الحشد مستعد للقتال حتى آخر نفسٍ دفاعًا عن دخيلهم، وبعد المفاوضات وإبلاغ الوالي العثماني قبلوا بالدية لذلك الضابط ولم يُسلّموا الدخيل [٢٢].

ت ــ المروة

المروءة : هي استعمال كلّ خلق حسن، واجتناب كلّ خلق قبيح، وهي أشمل من الوفاء بالعهد [٢٣]، قال الإمام علي (ت:٤٠هـ/٦٦١م) [٢٤] :

هل المروءَةُ إلَّا ما تَقُومُ بهن الذِّمامِ وحفظِ الجَارِ إنْ عَتَبا [٢٥]

وقال ابن فضل الله العمري: "وأهل البدو يشتهرون بالمرؤة وهم على ما فيهم من ذمام لكن المرؤة غالبة عليهم"[٢٦]، إذ روى البلدانيون جملة من قصص المروة عند البدو منها :" رأى

بدويّ في الصحراء رجلًا يمتطي فرسًا، فتظاهر بالتعب واستنجد به ليحمله على الفرس، فنزل الفارس عن فرسه وامتطاها البدويّ وهرب بها ! فصاح به صاحبها : يا هذا اذهب بالفرس، لكن لا تخبر أحدًا بما فعلتَ كيلا تنعدم المروءة بين الناس فعاد البدويّ وسلّم الفرس لصاحبها " [٢٧]، وروي أنَّ بدوي قتل آخر خطأً فقبضوا عليه للاقتصاص منه، وعندما شهد له بعض الحاضرين أنّه لم يتعمد القتل طالبوه بالدية، ولم يكن بين الحاضرين مَنْ يعرفه فقالوا له: " هل هناك مَنْ يكفلك فنهض أحدهم وتعهد بكفالته ولم يكن يعرفه، قالوا: لم تكفله وانت لا تعرفه فقال : إنّما كفلته لكي لا تضيع المروة " [٢٨].

ث ــ الأمانة والوفاء بالعهد

تعد الامانة و الوفاء بالعهد وعدم الغدر من شيم البدو وأعرافهم المتوارثة التي يفتخرون بها، فهي من المعايير الاجتماعية والأخلاقية التي يقاس بها، وأحد أهم اوجه التفاضل التي يبنى عليها؛ لما لها من قيمة عظيمة وشرفٍ غالٍ، اذ اعتقدوا في ضياعها حلول البلاء فجاء في امثالهم: "إذا ذهب الوفاء نزل البلاء"[٢٩]، اما عدم تعهدها او الالتزام بها فيعد نقصًا كبيرا يعير به صاحبه وحتى ذويه اجيالًا متعاقبة، واحيانًا يأمرون شعراءهم وكبار وجوههم بالتشهير به علنًا[٣٠].

ومن صور الوفاء بالعهد التي نقلها البلدانيون عن البدو أنَّ احد قضاتهم حكم على احدهم بالقتل؛ لأنّه قتل شخصًا آخر عمدًا، فطلب المحكوم عليه مهلة لكي يفي بتعهداته والتزاماته إذ كان معروفًا، فأمهله القاضي ثلاثة ايام لمكانته الاجتماعية المتقدمة وشيوع صلاحه، وقد وفى هذا بعهده، إذ جاء قبيل انتهاء المدة بوقت قليل وعليه آثار التعب والإعياء ؛ لما بذله من جهد في الاسراع للوصول الى القاضي قبل انتهاء الموعد، فسأله القاضي قائلًا :" كان بإمكانك أنْ تهرب من القتل فقال: إنّما جئت كي لا يضيع الوفاء بالعهد"[٣١] .

ومن الامثلة التي اشتهرت في اوساط البادية العربية وأهلها في الوفاء هي :" أوفى من السموال" [٣٢] وقصة هذا المثل كما رواها بعض البلدانيين أنَّ الشاعر العربي السمؤال بن عادياء[٣٣] أنَّه ضحَّى بولده لكي لا يُفَرِّط بدروع استأمنه عليها امرؤ القيس[٣٤] إذ توارثها عن اسلافه ملوك كندة [٣٥] وذلك حين طلبها احد ملوك الشام وهو الحارثُ بن أبي شَمِر الغَسّاني[٣٦] وألَحّ في طلبها، فلمّا رفض السموأل تسليمها إليه، ظفر الغساني في القبض على ابن السمؤال وأخذه رهينة عنده، وساومه بين دفع الدروع او قتل ابنه، فرفض تسليمها وآثر حفظ الامانة والوفاء بالعهد على دم ولده، إذ سلم تلك الدروع لورثة امرئ القيس [٣٧] .

ج ــ الفروسية والشجاعة

اشتهر البدو بالفروسية والشجاعة وانمازوا بها عن سواهم، فهي احد اعرافهم المتوارثة ومفاخرهم المتقدمة التي حرصوا على تربية ابنائهم في اعتمادها والتمسك بها، إذ إنّهم كانوا يدربون ابناءهم منذ نعومة أظفارهم على فنون الفروسية والقتال بالسيف والطعن بالرمح والرمي بالقوس والنبال، وغيرها من صنوف الاسلحة التي تطور البدو في استعمالها بتطور الزمن، وقد ذكر ابن جبير:" اهم ما يميز ابناء الصحراء هو شجاعتهم وإقدامهم في الحروب ونادرًا ما تجد الجبان عندهم وهي صفة مستهجنة مذمومة عندهم مقارنة مع ابناء الحضر " (٣٨).

وقد اتفق ابن خلدون معه إذ قال :" إنَّ اهل البدو اقرب الى الشجاعة من اهل الحضر، وعلل رأيه لبعدهم عن التجمع وتوحشهم في الضواحي وبعدهم عن الحامية وانتباذهم عن الأسوار والأبواب قائمون بالمدافعة عن أنفسهم لا يكلونها إلى سواهم ولا يثقون فيها بغيرهم، فهم دائمًا يحملون السلاح ويتلفتون عن كل جانب في الطرق ويتجافون عن الهجوع إلا غرارًا في المجالس وعلى الرحال وفوق الأقتاب ويتوجسون للنبات والهيعات وهذا ما يقل عند الحضر" (٣٩).

وقد ذكر البلدانيون صورًا من فروسية البدو وشجاعتهم وأعرافهم وآدابهم في القتال، وشي من فنونهم في ميادين النزال منها :" إنَّ اغلبهم كانوا لا يلبسون الدروع ولا يلبسون خيلهم عند القتال شيئًا، والمشهور عنهم مع ما لهم من الشجاعة (أنّهم) يقبلون الحسب، ويصفحون عن الجرائم، والمصطلح بينهم أنّ مَنْ رمى سلاحه في القتال يحرّمون قتاله، والمجرم يتحسّب [يبرّ القادر] عليه فيتجاوز عن ذنبه" (٤٠) .

ولم تقتصر صور الشجاعة على الرجال فحسب، بل شملت حتى النساء اللاتي حرص البدو على تدريبهن وإعدادهن للدفاع عن النفس، وحتى القتال احيانًا مع الرجال اذا اقتضى الامر، فعلى سبيل المثال قصة بنت ابن مطرود العوشزية (٤١)، عندما غاب أهلها، وغزاهم قوم في غيابهم فأخذوا إبلهم، فلبست ملابس أخيها وتدرعت بسلاحه وركبت فرسه، واستطاعت تخليص الابل، وأسرت بعض الغزاة، وعندما جهز الغذاء وعاد اهلها، رفض الاسارى البدء بالأكل إلا بحضور المانع، فضحك ابناء المطرودي وقالوا: ما منعكم هي أختنا وبذلك بلغت شهرة واسعة(٤٢) .

ح ــ ذكاء البدو

اتصف البدو بالذكاء ودقة الملاحظة وقوة التركيز على الرغم من قلة المحفزات والدوافع المنمية للذكاء في بيئتهم، إلا أنَّ صفاء اذهانهم وقلة التزاماتهم وخلو حياتهم المعيشية من

التعقيدات المشتتة للأفكار والمضعفّة للأذهان، اسهمت بشكل واضح بتقدم ذكاء اكثر البدو في عدّة اوجه منها :

ـ **سرعة الحفظ** : عرفوا واشتهروا بقوة ملكة الحِفظ عندهم، فقد اورد البلدانيون إنَّ كثيرًا من البدو لهم من سعة الذاكرة وصفائها ما تمكنهم من حفظ اكثر من ٥٠ بيتًا من الشعر عند سماعه للمرة الأولى [٤٣].

ـ **سرعة البديهة** : انماز غالب البدو بالقدرة العالية على الحوار وسرعة الرد واستحضار الجواب واستعمال الامثال والشواهد وتوظيفها الى ما فيه تحقيق مصالحهم وإثبات حقوقهم، وهذا ناتج من حرص البدو على تربية ابنائهم وتشجيعهم على الكلام مع الاخرين وتعلم اصول الحوار والمطالبة بالحقوق بالمجالسة والمعاشرة[٤٤].

ـ **قصّ الأثر**: انماز البدو بشكل خاص بقصّ الاثر دون غيرهم ولهم في ذلك مهارة عجيبة، لا يكاد يجاريهم فيها أحد معتمدين على الفطنة ودقة الملاحظة والذكاء الفطري[٤٥]، ويحتل قصاصو الأثر في البادية مكانة عالية؛ لما يقدمونه من دور كبير في استقرار المجتمع البدوي، بالكشف عن أسرار كل عمل أو فعل قد يسيء به فاعله لسمعة العشيرة، وهناك قصاصون مشهورون يقوم البدو باستدعائهم لتتبع الأثر حين تدعو الحاجة الى ذلك، وهم ينمازون بمهارات خاصة تمكنهم من أداء مهامهم بنجاح، منها: قوة الملاحظة والموهبة المكتسبة والخبرة والمتابعة المستمرة التي تبدأ منذ الصغر[٤٦].

وبقي أنْ نشير إلى أنَّ البدو شأنهم شأن غيرهم من البشر، فيهم الصالح والطالح والمحسن والمسيء، ويقينًا أنَّ ما اوردنا من صفات وأخلاق ليست لعموم البدو، وإنّما تمتع بها أناس وافتقر إليها غيرهم، وحتى اهل تلك الصفات تفاوتوا في امتلاكها في كل زمان ومكان، لكن ما يلفت انتباهنا هو ما ذهب اليه بعض البلدانيين في المبالغة في وصف البدو اوصافًا سيئة للغاية، بحيث جردتهم من كل ما هو جيد وحسن، بل اخرجتهم من جنس الانسانية، ومن بين ذلك أنّهم زناة وبغاة وأجلاف وطغاة وسراق وخونة للأمانة والعهد [٤٧] إلخ من الالفاظ التي لمسنا فيها البغض والتحامل او عدم المعرفة التامة بأحوال هذه الفئة من الناس، او ضعف الامانة في الوصف والنقل، إلخ من الاحتمالات التي دفعنا جزم اولئك البلدانيين وقطعهم بعدم وجود ما هو حسن عند البدو، لترجيحها، إذ لا يمكن تصديق خلو مجتمع من المجتمعات من الخير والمعروف الى حدّ النفي المطلق عن ذلك المجتمع .

وما يؤاخذ عليه اولئك البلدانيين هو قياسهم عموم البدو على عينة قد اوقعوا مثل هذا الاثر السيء في نفوسهم ؛ لأنَّ البلدانيين وبحكم عملهم او وظيفتهم أناس كثيرو التنقل والترحال

وما ينقلوه من انطباع يجب أنْ يكون حقيقيًا ودقيقًا، من دون أنْ يتأثر بإساءات وتصرفات شخصية لا تعبر عن واقع مجتمع بهذا الحجم والمساحة، فضلًا عن نقل غيرهم من البلدانيين اخبارًا مغايرة تمامًا لما اتوا به من صورة مشوهة عن مجتمع البادية .

وأخيرًا نقول إنَّ الخير والشر موجود في كل زمان ومكان ومتجذر في نفس الانسان وأخلاقه وأطباعه، وإذا ما سادت صفة معينة في مجتمع ما لا تعني خلوه من غيرها، او خلو غيره منها، ودراستنا المتواضعة لأحوال البدو بينت لنا أنَّ كثيرًا منهم كانوا من اهل الخير والصلاح وامتلكوا من الأخلاق والمثل العليا ما يُشار إليه بالبنان، كما امتلك قسم آخر منهم أخلاقًا ابتعدت بهم عن الصنف الاول، وجعلت مثل اولئك البلدانيين يقطعون بعدم صلاح عموم البدو بسببهم.

المحور الثاني: احوال البدو الاجتماعية

شكلت احوال البدو الاجتماعية مساحة واسعة في حياتهم وتراثهم، إذ يتعذر الاحاطة بعمومها؛ لكثرة تعددها وتنوعها، لذا سنشير في دراستنا المتواضعة والمقتضبة هذه الى اهمها وأشهرها بشكل عام وإجمالي من دون الخوض بتفاصيلها الواسعة والمعقدة والتي منها:

١ـ مجالس البدو

يعدّ حضور المجالس والتجمعات العامة من اهم اولويات البدو التي عنوا بها كثيرًا، بل عدّوها اساسًا مهمًا لنشأة اجيالهم وتعلمهم للعادات والتقاليد التي توارثوها عن اسلافهم، وأهم هذه المجالس والتجمعات وأوفرها حضورًا هو مجلس شيخ القبيلة الذي دائمًا ما يكون حافلًا بحضور كبار القبيلة ووجهائها وشخصياتها البارزة، ويكون فيه تداول الامور المهمة التي تخص احوال القبيلة ومستقبل اهلها والاخطار التي يُحتمل مواجهتها.

وفي ذلك يمكن للحضور ولاسيما الشباب منهم التعلم والإفادة من اولئك الكبار وآرائهم التي غالبًا ما تكون قرارات نهائية يلتزم بها الجميع بعد موافقة الشيخ ومباركته لها [٤٨].

وأيضًا هنالك مجالس وتجمعات أخرى تعقد في بيوت كبار القبيلة، ولاسيما اولئك الذين يُشكلون ثقلًا مهمًا لها، لما في معيتهم من رجال او اموال، إلا أنّها اقل حضورًا من مجلس الشيخ العام؛ لأنّها غالبًا ما تكون مجالس توجيهية لأفراد كلّ عشيرة او فخذ من القبيلة، وتكون الممهدة لاتخاذ القرار الذي يتبنى طرحه كبيرهم في مجلس الشيخ العام ؛ لأنّ البدو نادرًا ما يسمحون لشبابهم التحدث في محضر الكبار، او يستمعون لآرائهم؛ لأنهم في طور التعلم واكتساب الخبرة من هذه المجالس التي قالوا فيها "المجالس مدارس "[٤٩].

قال ابن جبير:" لقد شاهدت في رحلتي مجلسًا في البادية وكان يحضره الوجوه يجلسون بالقرب من الشيخ وبقربهم شباب القبيلة، ولقد كان يقضي في قضية معينة فسمع من الاطراف المتخاصمة، ومن الشهود، ثم اخذ رأي اعيان القبيلة ثم يعطي رأيه، وفي كل هذا يقول لابنه او مَنْ سيصبح الشيخ فيحرص على تعليمه"(٥٠).

٢ـ طعام البدو وملابسهم وزينتهم .

لقد فرضت ظروف العيش في الصحراء البساطة وعدم التعقيد على طعام البدو وشرابهم، إذ اقتصروا في ذلك على منتجات حيواناتهم من الالبان وشيء من البر والجريش والاقط(٥١) والعصيدة (٥٢) وقليل من التمر الذي كان ينقل اليهم بوساطة بعض التجار (٥٣)، فضلًا عن بعض الاعشاب والنباتات التي تجود بها صحرائهم(٥٤) فعدم استقرارهم وترحالهم الدائم فرض عليهم قلة المتاع والاثاث، ومن بين ذلك مستلزمات الطهي من القدور والاواني وغيرها (٥٥)، وعُرف عن البدو أيضًا أنّهم لا يأكلون إلا عندما يكونوا شديدي الجوع؛ لحرصهم على صحة أبدانهم مرة، ولترويض انفسهم على الصبر وتحمل الجوع، وزيادة قدرتهم على مواجهة قساوة العيش في الصحراء اخرى (٥٦) .

اما اللحوم فكان اكلهم لها يقتصر مرة على نزول ضيف عندهم (٥٧) فإكرام الضيف وذبح الأجود من مواشيهم والإسراف في ذلك احد اهم مفاخرهم والتفاضل بينهم (٥٨)، ومرة اخرى إذا ما حلّ وباء في قطعانهم او أجدبت السماء وأصاب القحط مراعيهم (٥٩).

واعتمد البدو في طعامهم أيضًا على صيد بعض الحيوانات الصحراوية وطيورها فهم ماهرون جدًا في الصيد، ومنهم مَنْ يقضي ايامًا في رحلة صيده التي يبتعد فيها كثيرًا عن رحاله ومضارب اهله (٦٠) .

أما شرابهم فيقتصر على ألبان المواشي (٦١) والقهوة التي تعدّ من الضروريات التي لا يمكن للبدوي الاستغناء عنها ولهم في تناولها اصول وتقاليد استفاض ابن بطوطة في بيانها (٦٢) ومن حب البدوي القهوة أنّه يعدّ افضل ما يهدى اليه هو البن(٦٣)، وقد ينفقون اكثر اموالهم على شرائها، بل يفضلونها حتى على طعامهم ولباسهم(٦٤).

أما ملابسهم فاتسمت بالبساطة أيضًا وهي متشابهة في اغلب الاحيان، إذ اقتصر رجالهم على لبس الدشاديش والعباءة والعكال ويضعون الخنجر المذهب في وسطهم، ويزينون خيولهم بالسروج وتسمى الخيول المزركشة، وانمازوا بالدروع الجميلة وبالأخص لأبناء الشيوخ او وجهاء القبيلة فهم يختارون افضل الملابس(٦٥) اما نساؤهم فأغلب لبسهن الدشاديش والعباءة الخفيفة وشيئًا من امور الزينة التي كان يجلبها بعض التجار المتنقلين بين منازلهم (٦٦).

واكثر البدو كانوا لا يترددون في السير حفاة، وبعضهم كان يرتدي نعلًا من جلود الاباعر ينوطونه بحبال يدخلون ارجلهم فيها [٦٧].

٣ـ مناسبات البدو

اسهمت المناسبات الاجتماعية من افراح واحزان اسهامًا فاعلًا في قوة ترابط المجتمع البدوي، وزيادة اواصر المحبة والانسجام بين افراده، ولهذه المناسبات عادات وتقاليد وممارسات اهتم البلدانيون في ذكرها، ومن بين تلك المناسبات وتقاليدها :

أـ الزواج

اختلف البدو في تطبيق احكام الشرائع والتعاليم السماوية، ولاسيما تعاليم الاسلام الحنيف في مسألة شرط الموافقة والقبول من قبل الفتاة وحتى الشاب، فغالبًا ما تكون الفتاة لابن العم او احد الاقرباء بالنسب [٦٨]، إذ لم يراعِ غالب البدو هذه المسألة على اعتبار أنَّ الاهل هم اعرف بمصلحة الابناء، وذلك بحكم الخبرة والمعرفة بالأصول والاحوال التي شكلت حيزًا مهمًا عند البدو في قضية الزواج، فلا يمكن لشيوخ القبائل أنْ يخطبوا لأبنائهم إلا من نظرائهم او مَنْ يماثلهم في النسب، حتى إذا كان خارجًا عن ارادة الابناء [٦٩]، ويوجد قسم من البدو يهتم برأي ورضا الابناء بمقدار معين لا يتجاوز المشاورة التي غالبًا ما تكون بوساطة الام او احدى النساء بالنسبة إلى الفتاة وبالأخص اذا كانت ثيبًا [٧٠]، وبوساطة الاخوان بالنسبة إلى الرجل؛ لأنّ الحياء يمنع الشاب او الفتاة من إبداء الرأي مع الاب مباشرة [٧١] .

وغالبًا ما يكون الزواج في اعمار مبكرة ولاسيما للفتيات التي يحرص البدو على زواجهن دون العشرين عامًا، أما اذا تجاوزت العشرين فتعدّ في اعرافهم متأخرة جدًا، وأما الشاب فلا بأس إنْ تجاوز العشرين بقليل لكن لا يوجد عندهم مَنْ يصل عمره الى ثلاثين عامًا دون أنْ يتزوج[٧٢].

وبعد الموافقات الاولية تذهب الجاهَ التي غالبًا ما يتقدمها شيخ القبيلة ووجهائها الى اهل الفتاة فيعرضون عليهم الامر، فتكون الموافقة او عدمها في حضور الجاهَ [٧٣]

وأما المهور فكانت تحدد من قبل الشيخ ووجهاء القبيلة، وأحيانًا من قبل اهل الفتاة والتي عادةً ما تكون من المواشي إبلًا ام أغنامًا؛ لقلة تداول النقود فيما بينهم [٧٤].

وكان يحدّد موعد الزفاف قبل ايام وتكون عامرة بالأفراح والدبكات، يرقص فيها في الغالب الفتيان والفتيات الصغار او الرجال والنساء المتقدمين في الاعمار[٧٥].

اما الطلاق الذي نورده هنا فلا لعدّه من المناسبات الاجتماعية، وإنّما لإكمال الفكرة عن موضوع الزواج وحيثياته عند البدو، والتي منها الطلاق الذي يعدّ نادرًا جدًا، ولا يحدث إلا في

ظروف قاهرة يصعب بعدها بقاء المرأة عند زوجها الذي يخبر اهلها بسبب الطلاق والظروف التي دفعته لذلك، ثم يُشهد على طلاقه لها بعض الوجهاء المشهورين بالصلاح، وعدّتها ثلاثة اشهر عندهم ولها الحق في الزواج بعد انقضاء العدة، إلا إذا كانت حاملًا فهي ممنوعة عن الزواج حتى تنجب وتفطم وليدها وتسلمه الى أبيه الذي أحيانًا ما يردها إذا ما وافقت المرأة، أو أنّها تتزوج من غيره بعد ذلك [٧٦] .

ب ـ الختان

يُعدّ الختان من المناسبات المهمة عند البدو، إذ يقيمون فيها احتفالات وولائم كبيرة؛ لحرصهم على اقامة هذه المناسبات بشكل جماعي، فهم يقومون بجمع الاولاد المستحقين للختان والذين غالبًا ما تكون اعمارهم بين الرابعة والثانية عشرة من العمر في خيمة تعدّ لهم مسبقًا بأمر من شيخ القبيلة، وتعلق راية بيضاء عليها، ويقوم بالختان اناس مختصون يفِدِون لهذه القبائل مرة في كل عام [٧٧] .

وغالبًا ما يعقب الختان سباق للخيل او ميادين للرمي يتبارى فيه الرجال بوضع رؤوس الذبائح على اوتاد تنصب على مسافات معينة، والذي يكون اكثر دقة في الاصابة يكون نصيبه اكثر من غيره من لحوم تلك الذبائح، وهذا ما يعرف عندهم بطعمة البارود [٧٨] .

ت ـ المأتم

يقوم البدو عند وفاة احدهم بتجهيزه ودفنه –بحسب معتقدهم– في اماكن لا تبعد كثيرًا عن رحالهم، ومن عادات البعض عندهم وضع ثوب للميت فوق قبره حتى يبلى او يأخذه عابر سبيل كزكاة عن الميت[٧٩]، ويقيم الرجال مجالس عزاء لاستقبال المعزين، فإذا كان المتوفى شيخًا فتنصب له رايات وتكون ايام عزائه اكثر من غيره، ونادرًا ما يبكي الرجال في العزاء؛ لأنّ ذلك معيبًا عندهم فالبكاء للنساء المقربات من المتوفى واللاتي يقمن بالندب والعويل ايام الحداد، إذ يمتنعن عن الزينة وارتداء الحلي ويتلثمن بخمار اسود علامة على الحزن[٨٠].

٤ـ القراءة والكتابة عند البدو

لقد سادت الامية مجتمع البادية، فالقسم الاعظم من اهلها لا يعرفون القراءة والكتابة[٨١]، لذا كانوا يميزون ويقدمون من لديه بدايات المعرفة في القراءة والكتابة والحساب، إذ انصب اهتمامهم فقط على تعلم ما يفي حاجتهم من معرفة ما عندهم من اعداد المواشي، وحفظ الشهادتين وبعض الآيات القرآنية والسور القصار، وحتى هذه لم يكونوا يجيدون قراءتها بالشكل الصحيح [٨٢]، وكانوا يهتمون بحفظ الامثال والحكم التي يتداولها كبارهم في المجالس، فحرصهم

الاول على تعلم الفروسية وفنون القتال للدفاع عن انفسهم ومواجهة اخطار الصحراء، وايضًا تعلم العادات والتقاليد المتوارثة [٨٣]، اما نساؤهم فهنّ اقل نصيبًا من الرجال في تعلم ما اشرنا اليه [٨٤].

٥ــ القضاء عند البدو

يُعدّ القضاء احد اهم مظاهر الحياة في المجتمع البدوي؛ لما انمازوا به من عصبية وغلظة بالأطباع وتسرع واندفاع في اتخاذ القرارات التي كانت تنتهي بمشاكل وويلات ليس على المستوى الفردي فحسب، بل قد يتجاوز ذلك فيشمل القبيلة او عدة قبائل [٨٥]، لذا كانوا يلجؤون الى اناس عرفوا بالخير والصلاح والاستقامة، وعرفوا بخبرتهم الواسعة في التعامل مع تلك المشاكل والحلول المناسبة لها، بتجاربهم الواسعة مرة، وأخرى بما توارثوه من خبرة اسلافهم وتعلموه من مجالسهم وكثرة قصد الناس لهم، وهؤلاء هم القضاء الذين لهم مكانة اجتماعية متقدمة في قبائلهم وحتى في القبائل الاخرى [٨٦]، وكان البدو يقصدون الأشهر من بين القضاة والاكثر خبرة ومعرفة بالعادات والسوادي، أي: الشرائع والاحكام المتوارثة عن اسلافهم والتي كانت مقبولة عندهم وملزمة لهم في اشد الظروف والاحوال[٨٧] .

وكان مكان القضاء هو بيت القاضي نفسه؛ لأنّ المتخاصمين كانوا يأتون بأنفسهم الى القاضي الذي لا يجوز أنْ يجلس عند احد الطرفين؛ لئلا يعدّ ميلًا له [٨٨]، وبعد أنْ يسمع من الطرفين يطلب كفلاء لهم؛ كي يلتزم الكفيل بما سيصدره من الحكم في حال عدم التزامهما، وبالأخص الطرف المدان، وأيضًا كي يلزموا من استكفلهم بدفع استحقاق القاضي والذي كان يعرف بالجُعلة او الرزقة[٨٩] الذي يحدّده القاضي مسبقًا بعد سماع القضية والذي يختلف بحسب حجم القضية وخطورتها، وغالبًا ما يكون من النقود او المواشي [٩٠]، ولا يصدر القاضي أي حكم إلا بعد أنْ يسمع تفاصيل المشكلة وحجج المتخاصمين وكذلك الشهود إنْ وجدوا، ثم يطلب من الحضور تناول الطعام وبعدها يقول :" من عندي ومن عند الاجواد قبلي " [٩١]، ثم يصدر حكمه الذي يكون مُلزمًا للجميع ولا يمكن لأحد مخالفته، وإذا ما تجرأ أحد على التمرد او المخالفة فإنّه يكون منبوذًا من الجميع اولًا، ومدانًا للكفيل الذي ضمنه ثانيًا، وبذلك يتضاعف الحق الذي فرض عليه[٩٢] .

وقد انماز القضاء عند البدو بالعدل والإنصاف ونادرًا جدًا ما يظلم عندهم احد [٩٣]، وانماز أيضًا بإيجاد الحلول الناجعة لأعظم المشاكل؛ لما كان يتمتع به قضاتهم من الذكاء والفطنة والصلاح والخبرة [٩٤].

اما احكامهم فتباينت بتباين نوع المشكلة وطبيعتها بين الإصلاح او العفو او القبول باليمين او الدية او الغرامة او التهجير والنفي او التعزير او القتل الذي كان اشدها والذي لا يصدره القاضي إلا في حالات القتل العمد او الاعتداء على العرض [٩٥].

٦ـ الطب عند البدو

لم يعرف البدو الطب بالمعنى الواسع والدقيق، وإنما كانت معرفتهم له معرفة اجمالية، اقتصرت على التداوي ببعض الاعشاب المعروفة عندهم، ومعالجة بعض الامراض التي عرفوا علاجها بالخبرة والتجربة التي توارثتها اجيالهم، ولاسيما تلك الاسر التي اشتهرت بالمعرفة والمهارة في التطبيب والمعالجة [٩٦] .

وكان الممارس لهذه المهنة يعرف عندهم بالحكيم، والذي يتمتع بمكانة اجتماعية معتبرة؛ لما يقوم به من دور انساني في معالجة المرضى، إذ إنّه يذهب اليهم بنفسه ويسافر الى قبائل بعيدة، بعد أنْ يأتي اليه مَنْ يخبره بوجود مريض او عدّة مرضى فيها، وقد تدوم سفرته اسابيع او اشهر؛ لقلة وجود الحكماء بينهم [٩٧]، اما عن اجورهم فكانت زهيدة جدًا تكون بين قليل من المال او الطعام او الملبس او المواشي، تبعًا لطبيعة المرض وبعد المريض ومدة المعالجة[٩٨].

ولم تقتصر خبرة حكماء البدو على علاج بعض الامراض ببعض الاعشاب فحسب وإنما تعدتها الى معالجة بعض انواع الحروق بالدهان او المساحيق المستخلصة من طحن بعض الاعشاب، وعرفوا بدايات الجراحة ومعالجة الجروح غير العميقة والتي غالبًا ما كانت تنتهي بالكي [٩٩].

وقد نقل البلدانيون أنَّ الامراض كانت قليلة في مجتمع البادية ؛ وذلك لنقاء الهواء والتعرض أوقاتًا طويلة لأشعة الشمس، وتناول الاطعمة الطبيعية غير المركبة، والقيام بالأعمال الشاقة مما اكسب البدو صحة عالية في ابدانهم وطاقة كبيرة على مقاومة الامراض [١٠٠].

٧ـ ديانات البدو

إنَّ المجتمعات البدوية شأنها شأن غيرها من المجتمعات، تأثرت بتعدد اعتقاداتها وتوجهاتها الدينية بالزمان والمكان، فمن البدو مَنْ تدين باليهودية او المسيحية او الاسلام، وذلك بحسب بيئته ومحيطه[١٠١]، إلا أنَّ الصفة الغالبة عليهم هي عدم معرفتهم بالقواعد والاصول لأيّ ديانة كانوا يدينون بها، وإنما معرفتهم تقتصر على الامور العامة والرئيسة[١٠٢]، فالمسلمون منهم مثلًا لا يعرف غالبهم سوى الشهادتين والصلاة بشكلها العام دون التفاصيل في احكامها، فضلًا

عن بعض السور القصار التي لا يتقن غالبهم قراءتها[١٠٣] وهكذا مقدار معرفتهم بالفرائض الاخرى وكيفياتها وأداءها، فهم يصومون ويزكون ويذهبون الى الحج، لكن دون التقيد بتفاصيل احكام هذه العبادات [١٠٤].

ومن البلدانيين مَنْ قال: "إنَّ اغلب البدو لا يتطهرون ولا يصلون ولا يصومون ولا يعرفون من الإسلام إلا أنَّ الله واحد وأنَّ محمدًا رسوله. ولولا هاتان الكلمتان لقلنا إنّهم كعرب الجاهلية حذو القذّة بالقذة "" [١٠٥].

٨ـ الثأر

يعدّ الثأر احد الاعراف السائدة في المجتمع البدوي، بل احد القوانين التي تحكم الصحراء والتي تسهم بشكل كبير في استقرارها؛ لما فيه من ردع للمعتدي، ودرس لكل مَنْ تسوّل له نفسه على العدوان أو اراقة الدماء؛ وذلك لاعتقاد البدو بأنَّ التهاون في اخذ الثأر وعدم قتل القاتل يعني التمادي في ارتكاب الجريمة من جهة، وإثبات ضعف وجُبن ذوي المجني عليه من جهة اخرى، وهذا ما لا يقبله البدوي ابدًا، لأنّه احد اوجه العار عندهم [١٠٦] .

ومفهوم الثأر عند البدو لا يقتصر على قتل القاتل نفسه، وإنما يمكن لذوي المجني عليه أنْ يقتلوا أيّ رجل يمتّ الى القاتل بصلةٍ، عندما لا يتمكنوا من الوصول الى القاتل، شرط أنْ يكون لا كبيرًا في العمر ولا طفلًا ولا مريضًا لكي يكون كفوءً للمقتول [١٠٧].

ويعتقد البدو أنَّ الاخذ بالثأر هو أحد الامور التي تُضفي على صاحبها العزة والكرامة والهيبة في المجتمع[١٠٨]، ومن اعرافهم في اخذ الثأر أنْ لا يقتل صاحب الثأر المعتدي وهو نائم، بل يوقظه ويقول له: أنا فلان بن فلان، وينادي باسم المقتول ثم يقتله ويغمس منديله أو شيء من ملابسه في دم ذلك المعتدي ويرفعه على عصا حتى يقابل بالزغاريد والبهجة[١٠٩] .

وقلما ينتهي الاعتداء بعدم اخذ الثأر والقبول بالدية التي غالبًا ما تكون من الجمال او الاغنام، وذلك عندما يكون المجني عليه ضعيفًا او من عشيرة ضعيفة ويكون الجاني ذا قوة وسطوة ومنعة [١١٠].

وأسهم الثأر في الحد من انتشار الجريمة في مجتمع البادية، وأسهم ايضًا في ابادة وتهجير قبائل كاملة وذلك عندما يكون الثأر لشيخ مشهور او كبير قوم [١١١].

٩ـ الامثال والشعر عند البدو

احتلت الامثال والاشعار مساحة واسعة في نفوس اهل البادية، فهي فاكهة مجالسهم وعنوان التميز لحضّار تلك المجالس، وأحد اهم الامور التي اجتهد البدو في تنشئة وتربية اجيالهم

عليها؛ لما لها من دور كبير في بناء شخصية الفرد من جهة، وتأثيرها الفاعل في نفس المستمع من جهة اخرى، ومقدار الانطباع والقيمة الاجتماعية للمتحدث بها من جهة ثالثة .

لذا غلب على كلام اكثرهم التحدث بالأمثال والحكم [١١٢] الناشئة من واقع البدو وبيئتهم وأطباعهم وتجاربهم والمؤكدة لأخلاقهم وأعرافهم وأفضلية أحوالهم على الرغم من بساطتها[١١٣]، وما ميّز تلك الامثال هو: إيجاز اللفظ و إصابة المعنى و حسن التشبيه و جودة الكفاية[١١٤] ومن بين امثالهم :" الضيف إنْ اقبل أمير وإنْ قعد أسير وإنْ قام شاعر[١١٥]، وإذا فات الفوت ما ينفع الصوت[١١٦]، الجود من الموجود [١١٧] .

أما الشعر فله من الشأن في المجتمعات البدوية ما يفوق الامثال، سواء كان في التأثير او المكانة الاجتماعية لصاحبه او غيرها من اوجه المفاضلة والتمييز السائدة في اوساطهم، لكون الشعر اللون الادبي الشعبي الشائع الذي يُعبر الناس به عن مشاعرهم وقضاياهم[١١٨].

وما يميز الشعر البدوي أنّه عربي الأصول والأبنية والتقاليد، مقولًا باللهجة العامية البدوية، فضلًا عن أنّه منظوم وعفوي، ومرتجل، لذا نجده بسيط الأسلوب لغويًا وفنيًا [١١٩] .

وقد تجلت اهمية الشعر البدوي في توثيقه وبيانه لعموم احوالهم من أفراح وأحزان وحروب وأعلام وقبائل إلخ[١٢٠].

لذا حَظي الشاعر البدوي بمكانة مهمة ومتقدمة في القبيلة فهو يعدّ من وجهائها وأعيانها؛ لما له من دور في إعزاز القبيلة وإعلاء شأنها وفضلها بين القبائل [١٢١].

المحور الثالث: أحوال البدو الاقتصادية

١ــ تربية الحيوانات

تمثل تربية الحيوانات الاساس الاقتصادي الاول والاهم في المجتمع البدوي، إذ يعتمدون في معيشتهم بالدرجة الاولى على تربية المواشي، ولاسيما الاغنام التي يفضلون رعيها على غيرها من الحيوانات، كونها لا تحتاج الى ذلك الجهد الكبير في الرعي والتربية كغيرها، فضلًا عن سرعة تكاثرها ووفرة منافعها من لحوم وألبان وأصواف، لذا فهي اكثر انواع الحيوانات شيوعًا عندهم [١٢٢] .

أما الجمال فتأتي تربيتها عندهم بالمرتبة الثانية بعد الأغنام؛ لما لها من طاقة كبيرة في تحمل اجواء البادية، ولما لها من فائدة كبيرة في النقل وحمل المتاع، فضلًا عن منافع منتجاتها من ألبان ولحوم وأوبار وجلود، إلا أنَّ استهلاكها اقل بكثير عندهم من الغنم .

وقد شكلت هذه الحيوانات مصدرًا اقتصاديًا مهمًا عند البدو، إذ إنّهم يعتاشون على منتجاتها وما زاد عن حاجتهم من عموم تلك المنتجات يبيعونه الى التجار الذين يقصدونهم [١٢٣].

اما الخيول فعلى الرغم من كثرتها عندهم، إلا أنَّ المتاجرة بها قليلة جدًا ولاسيما سلالاتها النادرة التي يعرفونها ويعتزون بها، ولا يبيع البدوي فرسه الاصيل إلا عند الحاجة الماسة وعلى مضض[١٢٤] .

٢ـ التجارة

كانت نظرة البدو الى عموم المهن ومنها التجارة نظرة ازدراء، إذ لم يرغبوا في امتهانها ابدًا على الرغم من فوائدها المعلومة عندهم، بإدراكهم مقدار الارباح التي يحصل عليها التجار القادمون اليهم، لذا لم يحبذوا العمل بها، وكانوا يكتفون بتاجر واحد في القبيلة او في القبائل المجاورة، إذ يعتمدون عليه في تجهيزهم بما يحتاجونه من الضروريات [١٢٥]، والتي غالبًا ما تكون من الملابس والزينة للنساء والملابس والسلاح للرجال وشيء من الطعام مثل: التمر والقهوة او المتاع مثل: الخيم الفخمة والسروج المرزكشة للشيوخ او ميسوري الحال [١٢٦]، وقد يكون التاجر بدويًا من احدى القبائل او غير بدوي يقصدهم ببضائعه ويتنقل بين القبائل في رحلة قد تدوم عدة أشهر وأحيانًا تتجاوز العام [١٢٧]، وهنالك من البدو مَنْ يعمل كدليل لأولئك التجار مقابل شيء من المال او البضائع [١٢٨] ويسعى في ارشادهم الى الطرق الآمنة والى تأمين حوائجهم والتي منها استئجار بعض الحيوانات لنقل بضائعهم التي قدموا بها، او التي ابتاعوها من اهل البادية سواء بالمقايضة بما عندهم من البضائع او بالشراء بالنقد المتداول عندهم[١٢٩].

وعَرَف البدو المتاجرة ببعض النباتات التي تكثر عندهم مثل: الفطر، إذ يبيعون الزائد عن حاجتهم الى التجار القادمين، فضلًا عن الكثير من الاعشاب التي تعدّ اساسًا لبعض الادوية[١٣٠].

٣ـ الصناعة

عَرف البدو بعض الصناعات ولاسيما التي تتوافر موادها الاولية عندهم، مثل: بيوت الشعر والحبال التي غالبًا ما تصنع من اوبار الإبل لقوتها، وتُصنع عباءات وبرية جميلة بعد غسل الوبر وتنظيفه، اما جلود الابل فيصنع منها القرب او الرواء والدلاء [١٣١] .

اما اصواف الاغنام فكان البدو يصنعون منها ملابس بعد تنظيفها وغزلها بمغازل خشبية كانوا يصنعونها، ومخائط خشبية ايضًا تعينهم على خياطة الملابس والفرش التي مهرت نساؤهم في صناعتها، واما الجلود فكانوا يصنعون منها فرشًا لبيوتهم فهي دافئة وسهلة النقل[١٣٢]، وعرفوا صناعة الهوادج، والتي هي سلال توضع على ظهور الجِمال وتصنع من أغصان بعض

الاشجار ويبَطَّن أسفلها بجلود الاغنام، ويُستَر أعلاها بنسيج للوقاية من تقلُّب الريح ووهج الشمس(١٣٣)، كذلك اشتهرت عندهم صناعة بعض المراهم لبعض الادوية من الاعشاب الموجودة لديهم (١٣٤).

٤ـ الغزو

يعدّ الغزو من الامور المباحة عند البدو فهو احد مواردهم التي كانوا يعتاشون عليها ولاسيما ايام القحط والجدب (١٣٥)، ولم يكن الغزو في نظرهم لصوصية او عدوانية، وإنما هو ممارسة مشروعة لاستعراض القوة وفرض الهيمنة واثبات الوجود (١٣٦) فالقبيلة الاقوى تغير على الاضعف لتسلبها املاكها من مواشي ومتاع اولًا ولترهب بها القبائل الأخرى؛ كي لا تتجرأ على الإغارة عليها ثانيًا (١٣٧)، فكان هذا الحال سببًا في ظهور ثارات ونزاعات امتدت الى اجيال متعاقبة وساعدت على ايجاد تحالفات بين بعض القبائل للمطالبة بالثأر واسترجاع الحقوق مرة، ولإرهاب الخصوم ودفع العدوان أخرى (١٣٨)، وهنالك من البدو مَنْ كان يرفض الغزو ولا يقبل به ويسعى الى استرجاع الحقوق المستلبة بالإصلاح مرة ومقاطعة المعتدي وعزله اخرى (١٣٩) .

٥ـ السلب والنهب

كان السلب والنهب حاضرًا في الحياة البدوية ووسيلة للعيش عند البعض، ولاسيما الافراد المطرودين من قبائلهم بسبب فسادهم وانحرافهم، إذ يقوم مثل هؤلاء بقطع الطرق على المارة وانتهاب ممتلكاتهم، او بسرقة بعض المواشي من الرعاة الذين يبتعدون بها عن مضارب قبائلهم بحثًا عن الماء والكلأ، وأحيانًا باختطاف بعض الافراد ومساومة ذويهم على الفدية (١٤٠).

وهذه الموارد وغيرها شكلت اجمالًا مصادر العيش في المجتمع البدوي، وحياتهم الاقتصادية بشكل عام بالغة الصعوبة فهي قائمة على الجهد المضني والمغامرة والقوة.

الخاتمة

١ــ أسهمت بيئة البادية وطبيعتها القاسية اسهامًا واضحًا في بناء شخصية الانسان البدوي وصفاته وأطباعه، فهو اكثر صبرًا على الجوع والمرض، وتحملًا لشدة الحر وقساوة البرد، وأكثر جلادة في المصائب والملمات .

٢ـ كان لنقاء الهواء في البادية وتعرض اهلها لأشعة الشمس وحرصهم على تناول الغذاء الصحي ومباشرتهم اعمالهم بأنفسهم وقلة همومهم سببًا مباشرًا في نشأتهم اصحاء الاجسام اقوياء البنية وذوات اذهان صافية وهذا ما دعا الى ارسال العرب ابناءهم قديمًا لينشؤوا في البادية، وحديثًا نرى أنَّ غالب الناس تسعى للترويح عن نفسها والتخفيف من ضغط المشاكل والهموم بالسفر الى المناطق المفتوحة ذات الطبيعة والأجواء الهادئة .

٣ــ حرص البدو غاية الحرص على تعليم ابنائهم وأجيالهم الاعراف والعادات والتقاليد التي توارثوها، وعدّها تراثهم الاصيل الذي يجب التمسك به وتورثيه للأجيال اللاحقة ؛ لأنه يمثل هوية الانسان البدوي الذي لا يتنازل او يتجرد من تلك الاعراف للطوارئ الحادثة والظروف القاهرة التي يفرضها الزمان أو المكان .

٤ــ غلبت على اطباع اكثر البدو التمسك بالخصال الحميدة من كرم وشجاعة ومروءة إلخ، إذ حرصوا على تربية ابنائهم وبناتهم عليها ؛ لأنّها اساس التفاخر والتفاضل بينهم، فهم يوقّرون ويقدمون اصحابها، ويستهينون بالمتخلي عنها، إذ لا قيمة او اعتبار له بينهم .

٥ــ اعطى البلدانيون صورة عن ضعف التديّن في اوساط البدو وأنَّ غالبهم لا يعرف من الدين سوى الشهادتين التي قد لا يحسن بعضهم التلفظ بها، وأنّهم لا يترددون في اكل صيدهم حلالًا كان ام حرامًا ولا يتورعون عن ارتكاب المحارم او سفك الدماء بغير حق، ولو حرصوا على تعلم احكام الدين كحرصهم على حفظ الأعراف والتقاليد لكانوا اتقى الامم .

٦ـ اختلف البلدانيون في وصف البدو وبيان احوالهم والحكم عليهم، فمنهم مَنْ نقل عن البدو من الاخلاق والاطباع والسجايا ما تطيب النفوس له، وتبتهج الارواح به، وبعضهم مَنْ نقل عكس هذه الصورة تمامًا ولم ينقل عن البدو إلا ما هو سيء ومشين، والغريب في الامر جزمهم وتعميمهم في احكامهم تلك، ولعل احد اسباب مثل هذه الاحكام هو تعرض اولئك البلدانيين الى ما ساءهم او اضرهم من بعض البدو، لكن ما يؤاخذ على اولئك البلدانيين هو التعميم في الحكم والقطع به امثال ياقوت الحموي .

٦ـ نظر البدو نظرة ازدراء لبعض المهن مثل: الزراعة التي تفرض عليهم الاستقرار وعدم التنقل والصناعة والتجارة التي عدّوا فيها خدمة تنقص من قدرهم وتفضيل حتى الغزو والسلب والنهب

عليها؛ لما في ذلك من اثبات للقوة وعدم الخوف وغيرها من معاني الرجولة عندهم، وفي ذلك كفاية لإثبات غريب اطباعهم واختلاف افكارهم وثقافاتهم.

الهوامش

References

(١) ابن منظور، جمال الدين محمد بن مكرم الانصاري، (ت:٧١١هـ)، لسان العرب، نشر ادب الحوزة، (قم-١٤٠٥هـ)، ج١٤، ص٦٧ .

(٢) الازهري، ابو منصور محمد بن محمد، (ت:٣٧٠هـ)، تهذيب اللغة واصطلاحاتها، ط١، دار احياء التراث، (بيروت ـ ١٤٢١هـ)، ج١٤، ص١٣٢ .

(٣) ابن منظور، لسان العرب، ج ١٤، ص٦٩ .

(٤) البكري، ابو عبيد محمد بن احمد، (ت: ٤٨٧هـ)، المسالك والممالك، ط١، دار الغرب الاسلامي، (بيروت ـ ١٩٩٢م)، ج١، ص١٧٨ . جبرائيل سليم دبور، البدو والبادية صور حية من حياة البدو في بادية الشام، ط١، دار العلم للملايين، (بيروت ـ ١٩٨٨م)، ص٤٧-٤٨ .

(٥) ابن الفقيه، ابو عبد الله احمد بن محمد بن اسحاق، (ت: ٣٦٥هـ)، البلدان، عالم الكتب، (بيروت ـ ١٤١٦هـ)، ص١٨٩ .

(٦) ابن فضل الله العمري، شهاب الدين احمد بن يحيى، (ت: ٧٤٩هـ)، مسالك الابصار في ممالك الامصار، ط١، المجمع الثقافي، (ابو ظبي ـ ١٤٢٤هـ)، ج٢، ص٦٤ .

(٧) ابن عبد الحق، عبد المؤمن بن شمائل القطيعي، (ت: ٧٣٩هـ)، مراصد الاطلاع على اسماء الامكنة والبقاع، ط١، دار الجيل، (بيروت ـ ١٤١٢هـ)، ج١، ص٢٤٤ .

(٨) ابن الفقيه، البلدان، ص١٩٠ ؛ جبرائيل سليم جبور، البدو والبادية، ص٥٠ .

(٩) ابن فضل الله العمري، مسالك الابصار، ج٢، ص٦٦ .

(١٠) الشاعر أبو محمد، موسى بن يسار المدني، مولى بني سهم أو بني تيم من قريش، نشأ في المدينة المنورة، وعاش فيها يتردد إلى دمشق وغيرها من حواضر الخلافة الأموية للمدح والتكسب، توفي سنة ١١٠هـ . ينظر: الذهبي، شمس الدين احمد بن محمد بن قايماز، (ت:٧٤٨هـ)، سير اعلام النبلاء، ط٣، مطبعة الرسالة، (د. م ـ ١٤٠٥هـ) ج٢، ص١١٥ .

(١١) ناصر خسرو، ابو معين ناصر الدين الحكيم، (ت:٤٨١هـ)، سفر نامة، ط٣، دار الكتاب الجديد، (بيروت ـ ١٩٨٣م)، ص٩٤.

(١٢) مؤلف مجهول، (ت: ق ٦ هـ)، الاستبصار في عجائب الامصار، دار الشؤون الثقافية، (بغداد ـ ١٩٨٦م)، ج١، ص٢٥ .

(١٣) اوبنهايم، ماكس فون، البدو، دار الوراق، (د.م ـ د.ت) ص٦٨ .

(١٤) ابن فضل الله العمري، مسالك الابصار، ج٢، ص٦٩ .

(١٥) ابن بطوطة، محمد بن عبد الله بن محمد بن ابراهيم، (ت:٧٧٩ هـ)، تحفة الانظار في غرائب الامصار وعجائب الاسفار المعروف برحلة ابن بطوطة، دار الشرق العربي، (بيروت ـ د.م)، ج١، ص٣٤٢ ؛ محمد كرد علي، خطط الشام، ط٣ مكتبة النوري، (دمشق ـ١٤٠٣هـ)، ص٨٩.

(١٦) أَبُو بَصِيرْ مَيْمُونْ بْنْ قَيْسْ بْنْ جَنْدَلْ بْنْ شَرَاحِيلْ بْنْ عَوْفْ بْنْ سَعْدْ بْنْ ضُبَيْعَة اَلْبَكْرِي المعروف بِالْأَعْشَى وَأَعْشَى قَيْسْ توفي سنة (٧ هـ/٦٢٩ – ٥٧٠ م) شاعر جاهلي من شعراء الطبقة الأولى في الجاهلية لقب بِالْأَعْشَى؛ لأنه كان ضعيف البصر، والأعشى في اللغة هو الذي لا يرى ليلًا ويقال له: أعشى قيس والأعشى الأكبر. ويكنى الأعشى: أَبُا بَصِيرْ، تفاؤلًا. عاش عمرًا طويلًا وأدرك الإسلام ولم يسلم، عمي في أواخر عمره. ينظر: الذهبي، سير اعلام النبلاء، ج١، ص٤٣ ؛ الغلابيني، مصطفى سليم، (ت:١٣٦٤هـ)، رجال المعلقات العشرة، ط٢، المكتبة العصرية (بيروت ـ ١٤١٣هـ)، ص٥٤

(١٧) هو علقمة بن علاثة بن عوف بن الأحوص بن جعفر بن كلاب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة الكلابي، وكان من المؤلفة قلوبهم، وكان سيدًا في قومه، حليمًا عاقلًا، ولم يكن فيه ذاك الكرم وهو الذي نافر عامر بن الطفيل. ينظر : ابن الاثير، ابو الحسن علي بن ابي الكرم، (ت:٦٣٠هـ) اسد الغابة في معرفة الصحابة، ط١، دار الكتب العلمية، (د. م– ١٤١٥هـ)، ج٤، ص٨٢ .

(١٨) عامر بن الطفيل بن مالك بن جعفر بن كلاب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة، قيل: إنه أدرك الإسلام وناوأ النبي محمدًا ولم يسلم، وكان له كنيتان، فهو في الحرب أبو عقيل، وفي السلم أبو علي، خاض المعارك الكثيرة. وأدرك الإسلام شيخًا فوفد على رسول الله وهو في المدينة بعد فتح مكة، يريد الغدر به، فلم يجرؤ عليه، فدعاه إلى الإسلام فاشترط أنْ يجعل له نصف ثمار المدينة وأنْ يجعله ولي الأمر من بعده، فرده، فعاد حانقًا. ينظر: ابن الاثير، اسد الغابة، ج٦، ص١٢٦ .

(١٩) ابن الفقية، البلدان، ص٢٠٠ .

(٢٠) لم اعثر له على ترجمة .

(٢١) الشيخ محمد بن دوخي بن سمير شيخ قبيلة بني وهب وهم اشهر قبائل عنز وهو شيخ وفارس وشاعر، وقد اشتهر في حماية المستجير حتى أطلق عليه لقب (حريب الدول)؛ لأنه دخل في حرب مع الدولة العثمانية لحمايته دخيلًا اراد العثمانيون قتله . ينظر : https://www.bnabar.com/diwan/show.

(٢٢) محمد كرد علي، خطط الشام، ص١٠٢ .

(٢٣) الزبيدي، محمد بن مرتضى الحسيني، (ت: ١٢٠٥هـ)، تاج العروس من جواهر القاموس، تحقيق : علي شيري، دار الفكر، (بيروت ـ ١٤١٤هـ)، ج٣، ص٢١٣ .

(٢٤) ابن الاثير، اسد الغابة، ج٣، ص٢٤٤ .

(٢٥) ابن الفقيه، البلدان، ص٢١٨ ؛ ابن ابي الحديد، عبد الحميد بن هبة الله، (ت:٦٥٦هـ)، شرح نهج البلاغة، مكتبة الشيخ المرعشي، (قم ـ ١٤٠٦)، ح٢، ص١١٨.

(٢٦) مسالك الابصار، ح٢، ص٧٣ .

(٢٧) ابن عبد الحق، مراصد الاطلاع، ج٢، ص٢٤٤.

(٢٨) ناصر خسرو، سفر نامة، ص٩٤ .

(٢٩) ابن حوقل، محمد بن محمد البغدادي، (ت:٣٣١هـ)، صورة الارض، دار صادر، (بيروت ـ١٩٣٨م)، ص١٥ ؛ الميداني، ابو الفضل احمد بن محمد بن ابراهيم، (ت:٥١٨ هـ)، مجمع الامثال، دار المعرفة، (بيروت ـ د.ت)، ج١، ص٥٩ .

(٣٠) محمد كرد علي، خطط الشام، ص٩٨ .

(٣١) ابن الفقيه، البلدان، ص٤٨٨ .

(٣٢) الميداني، مجمع الميدان، ج١، ص٨٦ .

(٣٣) السموأل بن غريض بن عادياء بن رفاعة بن الحارث الأزدي. شاعر جاهلي يهودي عربي، ذو بيان وبلاغة، كان واحدًا من أكثر الشعراء شهرة في وقته.، وكان يملك حصنًا في شمال الجزيرة يدعى الابلق، وكان يضرب به المثل بالوفاء توفي سنة (٥٦٠م) . ينظر: ابن سلام الجمحي، محمد بن سلام بن عبيد الله، (ت:٢٣٢هـ)، طبقات فحول الشعراء، دار المدني، (جدة ـ د.ت)، ج١، ص١٥١ .

(٣٤) امْرُؤ الْقَيْس بن حجر بن الْحَارِث بن عَمْرو بن حجر آكل المرار بن عَمْرو بن مُعَاوِيَة بن يعرب بن ثَوْر بن مرتع بن مُعَاوِيَة ابْن كنده شاعر عربي ذو مكانة رفيعة، بَرز في فترةِ الجاهلية، ويُعدّ رأس شعراء العرب وأبرزهم في التاريخ ووصف بأنّه أشعر الناس، وهو صاحب أشهر معلقة من المعلقات. عُرِف واشتهر بلقبه، توفي سنة (٥٤٠ م) وقبره في تل حضرليك فرجينيا انقرة حاليًا ينظر : ابن سلام الجمحي، طبقات فحول الشعراء، ج١، ص١٦ .

(٣٥) هي مملكة عربية قديمة قامت في وسط الجزيرة العربية؛ ملوكها من قبيلة كندة، وانتزعت البحرين من المناذرة في العصر الجاهلي. يعود ذكرها إلى القرن الثالث للميلاد على أقل تقدير، وأدّت دورًا مفصليًا عبر تاريخ العرب القديم، الزمخشري عمر بن محمود، (ت: ٥٣٨هـ)،الأمكنة والمياه والجبال والآثار ونحوها المذكورة، تحقيق حمد الجاسر، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، (الرياض ـ ١٤٢٥هـ)، ج١، ص٢١٨ ؛ الغزي، عبدالعزيز بن سعود، مملكة كندة في وسط شبه الجزيرة العربية : دراسة تاريخية آثارية، دار الملك عبد العزيز، (د.م ـ ٢٠٠٤)،ص٤٤.

(٣٦) الحارث بن أبي شمر الغساني ملك الغساسنة في بلاد الشام، من أسرة آل جفنة ملوك الغساسنة، وهم ملوك النصارى العرب في الشام قبل الإسلام، وكان حليفًا للروم، ينظر : ابن حزم الاندلسي، علي بن احمد بن سعيد، (٤٥٦هـ)، جمهرة انساب العرب، ط٦، دار الكتب العلمية، (بيروت ـ د.ت)، ص٣٧٢ .

(٣٧) مؤلف مجهول، الاستبصار في عجائب الامصار، ج١، ص٣١ ؛ القزويني، زكريا بن محمد بن محمود، (ت:٦٨٢هـ)، اثار البلاد واخبار العباد، دار صادر، (بيروت ـ د.ت)، ص٤٧٩ .

(٣٨) محمد بن احمد، (ت:٦١٤ هـ)، تذكرة الاخبار عن اتفاقات الاسفار المعروف برحلة ابن جبير، دار ومكتبة الهلال (بيروت ـ ١٤٢١ هـ)، ص٥١.

(٣٩) عبد الرحمن بن محمد بن محمد (ت:٨٠٨هـ)، رحلة ابن خلدون، دار الكتب العلمية، (بيروت ـ ١٤٢٥هـ)، ص٢٩٥.

(٤٠) ابن الفقيه، البلدان، ص٤٨٦.

(٤١) لم اعثر لها على ترجمة.

(٤٢) محمد كرد علي، خطط الشام، ص١١٥.

(٤٣) ابن عبد الحق، مراصد الاطلاع، ج٤، ص١٨٨ .

(٤٤) ناصر خسرو، سفرنامة، ص١٦٨.

(٤٥) ابن فضل الله العمري، مسالك الابصار، ج٢، ص٢٣٠.

(٤٦) ابن الفقيه، البلدان، ص٤٩٠.

(٤٧) ياقوت الحموي، شهاب الدين ياقوت بن عبد الله الرومي، (ت:٦٢٦ هـ)، معجم البلدان، ط٢، دار صادر، (بيروت، د.ت) ج٢، ص٢٤٠ .

(٤٨) ابن الفقيه، البلدان، ص٤٩١ ؛ الالوسي، شهاب الدين محمود بن عبد الله، (ت: ١٢٧٠هـ)، غرائب الاغتراب، مطبعة الشابندر، (بغداد ـ٢٠٠٩م)، ص٥١ .

(٤٩) الميداني، مجمع الامثال، ج٢، ص١٢٧ ؛ ابن فضل الله العمري مسالك الابصار، ج٢، ص١٣٠ .

(٥٠) رحلة ابن جبير، ج٢، ص١١٨.

(٥١) هو شكل من أشكال منتجات الألبان المجففة والمُحَمَّضَة التي تُجَمَّدُ حتى تستحجِر وتُطْبَخ أَو يطبخ بها. ينتشر استعماله في الأردن وفلسطين وشمال السعودية، بالأخص من قبل البدو؛ بسبب سهولة حفظه لحقب طويلة، وهو يعدّ المكوّن الأساس لطبق الأردن الوطني المنسف. ينظر: ابن الفقيه، البلدان، ص٤٩٦ ؛ جبرائيل سليم جبور، البدو، ص١٩٧.

(٥٢) هي طبق عربي من الدّقيق المخلوط بالماء مع مُحلٍّ، عادةً ما يكون سُكّرًا أو دبسًا أو عسلًا، ينظر، الزبيدي، تاج العروس، ج٢، ص٢١٣ .جبرائيل البدو، ص١٢٨ .

(٥٣) محمد كرد علي، خطط الشام، ص١٢٠.

(٥٤) السيرافي، ابو زيد الحسن بن يزيد، (ت ٣٣٠هـ) رحلة السيرافي، المجمع الثقافي، (ابو ظبي،١٩٩٩م)، ص٦٨.

(٥٥) ابن بطوطة، رحلة ابن بطوطة،ج٢، ص١٢٤ .

(٥٦) اوبنهايم، البدو، ص١١٧ . بلداني.

(٥٧) ابن فضل الله العمري، مسالك الابصار، ج٢، ص١٣٣، جبرائيل، البدو، ص١٢٩.

(٥٨) السيرافي، رحلة السيرافي، ص٧٨ ؛ الالوسي، غرائب الاغتراب، ص١٨٠ .

(٥٩) ابن الفقيه، البلدان، ص٤٩٩.

(٦٠) ابن فضل الله العمري، المسالك والممالك، ج٢، ص٢٣١.

(٦١) الزمخشري، الامكنة والمياه، ص٥٦.

(٦٢) رحلة ابن بطوطة، ص١٢٣ .

(٦٣) ابن بدران، عبد القادر بن احمد بن مصطفى، (ت:١٣٤٦هـ)، منادمة الاطلال ومسامرة الخيال، ط٢، المكتب الاسلامي، (بيروت ـ١٩٨٥م)، ص٢١ .

(٦٤) ابن فضل الله العمري، مسالك الابصار، ص٣٧ .

(٦٥) التطيلي، بنيامين بن الرابي يونة النباري الاسباني، (ت:٥٦٩هـ)، رحلة بنيامين التطيلي، ط١، المجمع الثقافي، (ابو ظبي ـ ٢٠٠٢م)، ص٣٣٤ .

(٦٦) الحميري، ابو عبدالله محمد بن عبد الله، (ت:٩٠٠هـ)، الروض المعطار في خبر الاقطار، مؤسسة ناصر للثقافة، (بيروت ـ ١٩٨٠م) ص٣٦٥ .

(٦٧) محمد كرد علي، خطط الشام، ص١٢٢.

(٦٨) ابن فضل الله العمري، مسالك الابصار، ج٢، ص١٣٦.

(٦٩) ابن الفقيه، البلدان،ص٥٠٠.

(٧٠) ابن عبد الحق، مراصد الحق، ج٢، ص٥٩٥ .

(٧١) اين بطوطة، رحلة ابن بطوطة، ص١٦٧.

(٧٢) البكري، معجم ما استعجم من اسماء البلاد والمواضع، دار الفكر (د.ت ـ د.م)، ج٢، ص١٢٥.

(٧٣) ابن عبد الحق، مراصد الاطلاع، ج١، ص٢١٢.

(٧٤) ابن فضل الله العمري، مسالك الابصار، ج٢، ص١٢٨.

(٧٥) السيرافي، رحلة السيرافي، ص٢١٨.

(٧٦) الشنقيطي، محمد الامين، الرحلة الى افريقيا، ط١، دار ابن حزم، (بيروت ـ ١٤٤١هـ)، ج١، ص١٦٥.

(٧٧) ابن جبير، رحلة ابن جبير، ص١٢٨ .

(٧٨) ابن فضل العمري مسالك الابصار، ج٢، ص١٤١.

(٧٩) القزويني، اثار البلاد،ص٤٩٠.

(٨٠) ابن خلدون، رحلة ابن خلدون، ص٤٧ .

(٨١) المقدسي، ابو عبد الله محمد بن احمد، (ت:٣٨٠هـ)، احسن التقاسيم في معرفة الاقاليم، دار صادر (بيروت – د.ت)، ص٩٧ .

(٨٢) ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٢، ص٢٤٠ .

(٨٣) ابن عبد الحق، مراصد الاطلاع، ج١، ص٢٤٤ .

(٨٤) ابن بطوطة، رحلة ابن بطوطة، ج١، ص٨١ ؛ محمد بن توفيق بن إسماعيل بن إبراهيم بن محمد علي (ت ١٣٧٤هـ)، الرحلة الشامية، ط١، دار السويدي، (بيروت ـ ٢٠٠٢م)، ص٣٤ .

(٨٥) ابن فضل الله العمري، مسالك الابصار، ج٢، ص٧٣ ؛ اوبنهايم، البدو، ص٨٣ .

(٨٦) ابن بدران، منادمة الاطلال، ص٥٦ .

(٨٧) ابن بطوطة، رحلة ابن بطوطة، ص١١٨.

(٨٨) ابن جبير، رحلة ابن جبير، ص١٢٨.

(٨٩) المقريزي، أحمد بن علي بن عبد القادر، أبو العباس الحسيني العبيدي، (ت ٨٤٥هـ)، المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، ط١، دار الكتب العلمية،، (بيروت ـ ١٤١٨هـ)، ج٤، ص٢٠ .

(٩٠) القزويني،، اثار البلاد، ص٤٧٩ .

(٩١) ابن فضل الله العمري، مسالك الابصار، ج٢، ص٤١١.

(٩٢) ابن عبد الحق، مراصد الاطلاع، ج١، ص٢٥٠.

(٩٣) البكري، المسالك والممالك، ج١، ص٢٧.

(٩٤) ابن بطوطة، رحلة ابن بطوطة، ص١٢٩.

(٩٥) ابن الفقيه، البلدان، ص٥٠١.

(٩٦) التطيلي، رحلة بنامين، ص٧٢ .

(٩٧)المقريزي، المواعظ والاعتبار، ج١، ص٣٤٦ .

(٩٨) محمد كرد علي، خطط الشام، ص١١٨.

(٩٩) ابن فضل الله العمري، مسالك الابصار، ج٢، ص٤١٦ ؛ عبد الله علي الماجد، الطب البدوي، دار الكتب الوطنية، (الرياض ـ د.ت) ص٢٩٨ـ٣٠٠ .

(١٠٠) ابن فضل الله العمري، مسالك الابصار، ج٢، ص٤١ ؛ ابن خلدون، الرحلة، ص٦٩ .

(١٠١) جبرائيل سليم جبور، البدو، ص١٢٩ .

(١٠٢) ابن خلدون، رحلة ابن خلدون، ص٢٥٢ .

(١٠٣) ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٢، ص١٧٢ .

(١٠٤) ابن الفقيه، البلدان، ص٣٩٧ .

(١٠٥) كرد علي، خطط الشام، ص٢١٢.

(١٠٦) ابن الفقيه، البلدان، ص٤٩٦

(١٠٧) ابن بدران، منادمة الاطلال، ص١١٨ .

(١٠٨) ناصر خسرو، سفر نامه، ص١٢٩.

(١٠٩) ابن بطوطة، رحلة ابن بطوطة، ص١٨٩.

(١١٠) ابن فضل الله العمري، مسالك الابصار، ج٢، ص٢١٣، جبرائيل سليم جبور، البدو ص٨٦.

(١١١) الغزي، كامل بن حسين بن محمد بن مصطفى البالي، (ت:١٣٥١هـ)، نهر الذهب في تاريخ حلب، ط٢، دار القلم، (حلب– د.ت)، ج٢، ص٢١٣ .

(١١٢) ابن عبد الحق، مراصد الاطلاع، ج٢، ص١٢٧ .

(١١٣) البكري، المسالك والممالك، ج١، ص١٢٩.

(١١٤) التطيلي، رحلة بنيامين، ص١٧٩.

(١١٥) الميداني، مجمع الامثال، ج١، ص٩٣؛ التطيلي، رحلة بنيامين، ص٣٦١.

(١١٦) الميداني، مجمع الامثال، ج٢، ص٢١٣؛ ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٢، ص١١٧ .

(١١٧) الميداني، مجمع الامثال، ج١، ص١١٨ ؛ الغزي، محمد بن محمد بن محمد، (ت: ٩٨٤هـ)، المطالع البدرية في المنازل الرومية، دار السويدي، (بيروت ـ ٢٠٠٤م) ص٩٠ .

(١١٨) الشابشتي، ابو الحسن علي بن محمد، (ت:٣٨٥هـ)، الديارات، دار صادر (بيروت ـ د.ت)، ص٥٦.

(١١٩) ابن الفقيه البلدان، ص١١٨ .

(١٢٠) القزويني، اثار البلاد، ص٣٢٢ .

(١٢١) ابن خلدون، الرحلة، ص٣١٢ .

(١٢٢) الزمخشري، الامكنة والمياه، ص٨٠ .

(١٢٣) ابن الفقيه، البلدان، ص٤٩٧.

(١٢٤) الغزي، المطالع البدرية، ص١١٣ .

(١٢٥) السويدي، عبد الله بن حسين بن مرعي بن ناصر الدين البغدادي، (ت:١١٧٤هـ)، النفحة المسكية في الرحلة المكية، المجمع الثقافي، (ابو ظبي ـ ١٤٢٤هـ)، ج١، ص٢٣٣ .

(١٢٦) البكري، معجم ما استعجم، ج٢، ص٥٠٢ .

(١٢٧) ابن خرداذبة، أبو القاسم عبيد الله بن عبد الله، (ت:٢٨٠هـ)، المسالك والممالك، دار صادر، (بيروت– د.ت)، ص١٧٩ .

(١٢٨) اليعقوبي احمد بن اسحاق، (ت: ٢٩٢هـ)، البلدان، ط١، دار الكتب العلمية، (بيروت ـ ١٤٢٢هـ)، ج١، ص٢٩٧.

(١٢٩) ابن الفقيه، البلدان، ص٤٠٠.

(١٣٠) البكري، معجم ما استعجم، ح٢، ص٥٠٣ .

(١٣١) السويدي، النفخة السويدية، ج١، ص٢٣٩ .

(١٣٢) ابن فضل الله العمري، مسالك الابصار، ج٤، ص١٦٤ .

(١٣٣) الادريسي، محمد بن محمد بن عبد الله بن إدريس الحسني الطالبي، (ت: ٥٦٠هـ)، نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، ط١، عالم الكتب،(بيروت ـ ١٤٠٩هـ) ج١، ص٢١٣ .

(١٣٤) ابن بطوطة، رحلة ابن بطوطة، ج٢، ص٦٤ .

(١٣٥) كرد علي، خطط الشام، ص٣٠٦ .

(١٣٦) ابن فضل الله العمري،مسالك الابصار، ج٢، ص١٨٨.

(١٣٧) جبرائيل سليم جبور، البدو، ص٢٧٨ .

(١٣٨) الادريسي، نزهة المشتاق، ص١٦٩ .

(١٣٩) ابن الفقيه، البلدان، ص٤١١.

(١٤٠) ابن فضل الله العمري، مسالك الابصار، ج٢، ص١٣٩.

ترجمة المصادر والمراجع:

List of sources
- Ibn Al-Atheer, Abu Al-Hasan Ali bin Abi Al-Karam, (d. 630 AH)
1- Asad al-Ghabah fi Ma'rifat al-Sahaba, 1st edition, Dar al-Kutub al-Ilmiyyah, (d. 1415 AH)
- Al-Idrisi, Muhammad bin Muhammad bin Abdullah bin Idris Al-Hassani Al-Talibi, (d. 560 AH),
2- Nuzhat al-Mushtaq fi Penetrating Horizons, 1st edition, Alam al-Kutub, (Beirut - 1409 AH)
Al-Azhari, Abu Mansur Muhammad bin Muhammad, (d. 370 AH)
3- Refinement of the language and its terminology, 1st edition, Dar Ihya' al-Turath, (Beirut - 1421 AH),
- Ibn Battuta, Muhammad bin Abdullah bin Muhammad bin Ibrahim, (d. 779 AH),
4- The masterpiece of attention in the curiosities of the cities and the wonders of travels known as the journey of Ibn Battuta, Dar Al-Sharq Al-Arabi, (Beirut - D.M.),
- Al-Bakri, Abu Ubaid Muhammad bin Ahmed, (d. 487 AH)
5- Paths and Kingdoms, 1st edition, Dar Al-Gharb Al-Islami, (Beirut - 1992 AD)
6- A Dictionary of the Most Unexplained Names of Countries and Places, Dar Al-Fikr (D.D.M.)
- Al-Tadili, Benjamin bin Al-Rabbi Yuna Al-Nabari Al-Ispani, (d. 569 AH)
7- The Journey of Benjamin of Tudela, 1st edition, Cultural Foundation, (Abu Dhabi - 2002 AD).
- Ibn Jubayr, Muhammad bin Ahmad, (d. 614 AH)
8- A reminder of the news about travel agreements known as the Journey of Ibn Jubayr, Al-Hilal House and Library (Beirut - 1421 AH)
- Ibn Abi Al-Hadid, Abdul Hamid bin Hibat Allah, (d. 656 AH)
9- Explanation of Nahj al-Balagha, Sheikh al-Mar'ashi Library, (Qom - 1406)
- Ibn Hazm Al-Andalusi, Ali bin Ahmed bin Saeed, (456 AH),
10- Jamharat Ansāb al-Arab, 6th edition, Dar Al-Kutub Al-Ilmiyyah, (Beirut - D.T.)
- Al-Himyari, Abu Abdullah Muhammad bin Abdullah, (d. 900 AH),
11 - Al-Rawd Al-Ma'tar fi Khabar Al-Aqtar, Nasser Foundation for Culture, (Beirut - 1980 AD)
- Ibn Hawqal, Muhammad bin Muhammad al-Baghdadi, (d. 331 AH),
12- Suwarat Al-Ard, Dar Sader, (Beirut - 1938 AD),
- Ibn Khurdadhabah, Abu Al-Qasim Ubaid Allah bin Abdullah, (d. 280 AH),
13- Paths and Kingdoms, Dar Sader, (Beirut, D.T)
- Ibn Khaldun, Abdul Rahman bin Muhammad bin Muhammad (d. 808 AH)
14- The Journey of Ibn Khaldun, Dar Al-Kutub Al-Ilmiyyah, (Beirut - 1425 AH),
Al-Dhahabi, Shams al-Din Ahmad bin Muhammad bin Qaymaz, (d. 748 AH),
15 - Siyar A`lam al-Nubala', 3rd edition, Al-Resala Press, (d. 1405 AH).
Al-Zamakhshari Omar bin Mahmoud, (d. 538 AH),
16- The places, waters, mountains, monuments and the like mentioned, edited by Hamad Al-Jasser, King Faisal Center for Research and Islamic Studies, (Riyadh - 1425 AH),

- Ibn Salam Al-Jumahi, Muhammad bin Salam bin Ubaidullah, (d. 232 AH),
17- Tabaqat Stallions of Poets, Dar Al-Madani, (Jeddah - D.T.)
Al-Suwaidi, Abdullah bin Hussein bin Mar'i bin Nasser al-Din al-Baghdadi, (d. 1174 AH),
18- The musky scent in the Meccan journey, Cultural Foundation, (Abu Dhabi - 1424 AH), vol. 1, p. 233.
- Al-Serafi, Abu Zaid Al-Hasan bin Yazid, (d. 330 AH)
19 - The Journey of the Seraph, Cultural Foundation, (Abu Dhabi, 1999), p. 68.
- Al-Shabashti, Abu Al-Hasan Ali bin Muhammad, (d. 385 AH),
20- Al-Diyarat, Dar Sader (Beirut - DT),
- Ibn Abd al-Haqq, Abd al-Mu'min bin Shama'il al-Quta'i, (d. 739 AH),
21- Observatories of Knowledge of the Names of Places and Bekaa, 1st edition, Dar Al-Jeel, (Beirut - 1412 AH)
- Al-Ghazi, Muhammad bin Muhammad bin Muhammad, (d. 984 AH),
22- The full moon readings in Roman houses, Dar Al-Suwaidi, (Beirut - 2004 AD)
- Ibn Fadlallah Al-Amri, Shihab Al-Din Ahmed bin Yahya, (d. 749 AH),
23- Paths of Vision in the Kingdoms of Egypt, 1st edition, Cultural Complex, (Abu Dhabi - 1424 AH).
- Ibn al-Faqih, Abu Abdullah Ahmad bin Muhammad bin Ishaq, (d. 365 AH),
24- Al-Buldan, Alam Al-Kutub, (Beirut - 1416 AH), p. 189.
- Al-Qazwini, Zakaria bin Muhammad bin Mahmoud, (d. 682 AH),
25- Athar al-Bilad wa Akhbar al-Ibad, Dar Sader, (Beirut - D. T.), p. 479. p. 90.
Unknown author, (d. 6 AH),
26- Insight into the wonders of the lands, House of Cultural Affairs, (Baghdad - 1986 AD).
- Al-Maqdisi, Abu Abdullah Muhammad bin Ahmed, (d. 380 AH),
27- Ahsan al-Taqasim fi Ma'rifat al-Aqlim, Dar Sader (Beirut - D.T.)
- Al-Maqrizi, Ahmed bin Ali bin Abdul Qadir, Abu Al-Abbas Al-Husseini Al-Obaidi, (d. 845 AH),
28- Sermons and consideration by mentioning plans and effects, 1st edition, Dar Al-Kutub Al-Ilmiyyah, (Beirut - 1418 AH).
- Ibn Manzur, Jamal al-Din Muhammad bin Makram al-Ansari, (d. 711 AH),
29 - Lisan al-Arab, publishing seminary literature, (Qom - 1405 AH)
- Al-Maidani, Abu Al-Fadl Ahmad bin Muhammad bin Ibrahim, (d. 518 AH)
30- Complex of Proverbs, Dar Al-Ma'rifa, (Beirut - D.T.)
- Nasir Khusraw, Abu Mu'in Nasir al-Din al-Hakim, (d. 481 AH),
31 - Safar Nama, 3rd edition, New Book House, (Beirut - 1983 AD)
- Yaqut al-Hamawi, Shihab al-Din Yaqut bin Abdullah al-Rumi, (d. 626 AH),
32- Dictionary of countries, 2nd edition, Dar Sader, (Beirut, d.d.)
Al-Yaqoubi Ahmad bin Ishaq, (d. 292 AH),
33- Al-Buldan, 1st edition, Dar Al-Kutub Al-Ilmiyyah, (Beirut - 1422 AH)

The Reference

Al-Alusi, Shihab al-Din Mahmoud bin Abdullah, (d. 1270 AH),
1- Oddities of Alienation, Al-Shabandar Press, (Baghdad - 2009 AD)
Oppenheim, Max von,
2- Al-Bedouin, Dar Al-Warraq, (D.M.D.T)
- Ibn Badran, Abdul Qadir bin Ahmed bin Mustafa, (d. 1346 AH),
3- Manadamat al-Atlal wa Samarat al-Ikhayal, 2nd edition, Al-Maktab Al-Islami, (Beirut - 1985 AD).
Gabriel Salim Jabour,
4 - The Bedouins and the Desert, Living Pictures from the Life of the Bedouins in the Levant Desert, 1st edition, Dar Al-Ilm Lil Al-Millain, (Beirut - 1988 AD)
Al-Zubaidi, Muhammad bin Mortada Al-Husseini, (d. 1205 AH),
5- Taj Al-Arous from the Jewels of the Dictionary, edited by: Ali Shiri, Dar Al-Fikr, (Yasrut - 1414 AH)
- Al-Shanqeeti, Muhammad Al-Amin,
6- The Journey to Africa, 1st edition, Dar Ibn Hazm, (Beirut - 1441 AH)